

من تراب الطريق

المرجان (*)
(٢)

(٤١٦)

في عمود ١ / ٢٧ - نقلت لك الحديث الأول من قصيدة المرجان للأستاذ الجليل ، المحامي الفقيه ، الشاعر الأديب ، محمد عبدالله محمد - من ديوانه العارف .. وهو هنا يستكمل في هذا الحديث الثاني - ما كان قد بدأه في الحديث الأول ، عما يتقلب على الإنسان من أحوال في رحلة الحياة ، وماذا يفعل إذا غربت شمس ، هل يبقى على لياذه بواحة الرب ، أم يتابع عناده الذي ناداه ؛ ليخوض اللجج ، ويصارع الأمواج ، دون أن يبلغ الشاطئ الذي يريد .

في الحديث الثاني يبدأ محمد عبدالله محمد بأنه ليس بيده أن يمنع القضاء والقدر ، مثلما ليس بإمكانه أن يوقف دوران الأرض .. هذه هي الشمس تشرق بالصبح ، وتوئى إلى الليل ، دون أن تغير العيون المتطلعة إليها زرقة أو ظلمة .. فلماذا يا ربنا خيم الليل على ما بداخلنا ، وهاج القلق ، ولماذا غرق من غرق وغطت «الأنا» وانحصرت في ذاتها حتى لم تعد ترى الله ، وشاب عبادتها التعلق بالألفاظ ، واهتمت بالمديح دون أن تدرك المعاني ، وغلبت مظاهر السطح على الأغوار وما فيها ، حتى فقدت الذات بوصلتها؟! .. يقول محمد عبدالله محمد :

دَوْرَانُ الْأَرْضِ يَا نَفْسُ قَضَا لَيْسَ فِي وُسْعِي أَنْ أَمْنَعَهُ

(*) المال ٣ / ٤ / ٢٠١٠ .

كَيْفَ لَا يَتَعَبُ لَا يَنْقَطِعُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُهُ
 كَيْفَ تَبْنِيهِ خِيُوطُ الْأَمَلِ وَبَنَاتُ الْفِكْرِ هَلْ تُرْجِعُهُ
 إِنَّا نَنْسَاهُ كَمَا نَقْبَلُهُ وَنَظْنُ الْعُمَرَ لَا يَتَّبِعُهُ

لَمْ يَزَلْ بِالشَّمْسِ صَبْحٌ يَطْلُعُ وَيُدَلِّيهَا إِلَى اللَّيْلِ مَغِيبٌ
 وَتَوَالِيهَا عِيُونَ صُوبَتْ لِلْسَمَا تَرْمِي بَعِيدًا بِقَرِيبٌ
 لَمْ تُغَيِّرْ زُرْقَةً أَوْ ظُلْمَةً وَإِلَى الْغَمْضِ سَرِيعًا سَتُجِيبُ
 لَعِبِ الضُّوءِ بِهَا لَعْبَتُهُ وَمَضَى عَنْهَا غَرِيبٌ لَغَرِيبٌ !!

نَامَتْ الْأَحْيَاءُ إِلَّا سَاهِرًا رُبَمَا يُقْبَلُ عُذْرُ النَّائِمِ
 أَضْلُهُ النَّوْمُ وَفِي يَقْظَتِهِ سِنَّةٌ تَحْمَلُ غَيْبَ الْحَالِمِ
 يُكْمِلُ الْيَقْظَةَ إِذْ يَتْرُكُهَا تَرَكَ مَغْلُوبٍ طَرِيحٍ سَاهِمِ
 غَادَرَ اللَّعْبَةَ قَهْرًا فَرَأَى مَوْكِبَ الْحَمَقَى بِعَيْنِ الْفَاهِمِ

يَا أُخَى: النَّعْسَانُ فِي اللَّهِ أَنَا سَمَنِي مَا شِئْتَ أَوْ شَاءَ الْكَسَلِ
 حَسْبُنَا أَنْ يَحْضَرَ اللَّهُ هُنَا لِيَقُومَ اللَّهُ عَنَا بِالْعَمَلِ
 نَحْنُ فِي الْمَالِ الَّذِي نَعْبُدُهُ نَقْفِرُ السَّهْلَ إِلَيْهِ وَالْجَبَلَ
 نُؤْثِرُ الْمَالَ عَلَى أَنْفُسِنَا ذَلِكَ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ يُمَلِّ

ليس سهلاً أن أقرّ علناً أننى فى الكلّ جزءٌ ناطقٌ
أو كمزجان على رُفقتِهِ تحتَ سطحِ البحرِ حتى لا يصقُ
إننى نفسى وإننى عندها واحدٌ فردٌ فريدٌ خالقٌ !
يرفضُ الكلّ إذا أغضبته وهو طوعُ الحالِ راضٍ حائقٌ !!

ربّنا ضيقنا على أنفسنا مثلما ضاق علينا الأفقُ
ما ترى يارب؟ فى داخلنا خيمَ الليلِ وهاجَ القلقُ
كيف لا ينمو علينا ورقٌ حينَ قد غطّى الوجودُ الورقُ
ثمّ وصفٌ للذى تشهدهُ إنّه طفوٌ لقومٍ غرقوا !!

كم من الأيامِ مرّت داخلِ ليس فيها الله بل فيها أنا
ذلك القشرُ الذى تجمعه يملأُ الجوَّ ترابًا حولنا
أنا لا أعبدُ بل أمدحُ مثلما أمدحُ شيئًا يُقتنى !
أو شهيرًا خلّطني أعرفهُ فاتنَ البسمَةِ يبدو مثلنا !

كلُّ ما فى على السطحِ يرى دونَ أغوارِ الأسى والكذبِ
حيثُ عاشَ الخوفُ فى مأمِنِهِ وتما الشوكُ خلالَ الحطبِ
هذه الأنجمُ لا تعرفنى فأنا ملكٌ لتلك اللعبِ
ليس لى شىءٌ غلا أحفظهُ وبِهِ أرتاحُ عندَ التعبِ

خَلَّ جَنبِيكَ لَمَنْ يَعْتَرِكُ واحفظُ العهدِ بِفِكْرِ حَلَقًا
فَازَ أَحْيَانًا بِمَا يُعْجِبُهُ ويُوَاسِيهِ وَحِينًا أَخْفَقَا
لَمْ يُصَدِّقْ كُلَّ مَا قَابَلَهُ رَبِّيَا آذَاهُ شَيْءٌ صَدَقَا
خُدِّرَ الْفِكْرُ بِمَا صَدَّقَهُ إِنَّهُ نَوْمٌ بَعِينٍ رَنَقَا
